الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة الحاج لخضر باتنة ـ 1ـ

مداخلة مقدمة للملتقى الوطني

بعنوان

دور الإعجاز العلمي في مقاومة الإلحاد

عبد المجيد الزنداني نموذجا

الدكتور/ عبد الحق ميحي

كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

: المقدمة

الحمد لله العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين ورضي الله تعالى عن سادتنا أصحاب رسول الله الغر الميامين وبعد

ظاهرة إللإحاد ليست بالظاهرة الجديدة على البشرية فقد عرفت البشرية الإلحاد منذ الأزل ، وليس وليد { الساعة ، ولكن البشرية ألحدت منذ زمن طويل من تاريخها { وما يهلكنا إلا الدهر

وسوف نتناول هذه المداخلة عبر المحاور التالية

حالة اليمن في فترة الستينات والسبعينات

سبب اختيار هذه الفترة للدراسة

مدرسة الأعجاز ودورها في مكافحة الإلحاد

ترجمة الشيخ عبد المجيد الزنداني

دور الشيخ عبد المجيد الزنداني في مكافحة الإلحاد

: أولا : حالة اليمن في فترة الستينات والسبعينات

أولاً: الأوضاع العامة في اليمن قبل الثورة

يمكن الإلمام بالأوضاع العامة في اليمن قبل الثورة، بعدة مؤشرات، أبرزها: نظام الحكم، حالة الاقتصاد والخدمات، البنْية الاجتماعية، الأوضاع العسكرية، العزلة المفروضة على البلاد، وحركة المعارضة اليمنية.

1. نظام الحكم في اليمن

خضع اليمن لحكم الإمامة الزيدي لأكثر من ألف عام، قبل قيام الثورة اليمنية في 26 سبتمبر 1962. والإمام، فضلاً عن كونه الحاكم الأوحد للبلاد، هو الزعيم الديني للمذهب الشيعي، الزيدي ، أحد المذهبين الرئيسيين في اليمن. وأبرز شروط الإمامة، أن يكون من أهل بيت رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم في اليمن السادة الأشراف الهاشميون، ويقدرون بما يقرب من 30 ألف فرد، وهم وحدهم الذين من حقهم انتخاب الإمام. إلاّ أن بعض الأئمة (يحيى بن المنصور حميدالدين، وابنه أحمد) خرجوا عن هذه القاعدة، وعينوا أبناءهم أولياء للعهد، وأخذوا لهم البيعة في حياتهم.

اتسم نظام الحكم الإمامي بالمركزية الشديدة، إذ كانت البلاد، تخضع لسيطرة الإمام وإدارته، في كافة شؤون الدولة، صغيرها وكبيرها. وفي ظل هذه المركزية، كان يمكن أن يتوقف سير العمل فترة طويلة، إذا اعترى الإمام مرض أو عائق شخصي.

وفي ظل الطبيعة الدينية للحكم، كانت الشريعة الإسلامية، كما يفهمها الإمام ومعاونوه، هي دستور الدولة. كما لم يعرف نظام الإمامة اليمنية أي مظهر من مظاهر السلطة التشريعية، وإن عرفت البلاد سلطة تنفيذية من عدة وزارات وهمية، كان يتولاها إخوَة الإمام أحمد، وابنه محمد البدر.

أمّا السلطة القضائية، فكان الإمام يعين أفرادها من الفقهاء، الذين يطبقون الشريعة الإسلامية والأحكام الفقهية. وكان الإمام يستطيع نقض أي من أحكامهم، كما كانت الرشوة أمراً شائعاً بينهم.

واعتمد الإمام على السادة الأشراف، في شغل المناصب الرئيسية في الدولة. فكان منهم مستشارو الإمام ونوابه، وحكام معظم الوحدات الإدارية المختلفة في البلاد. كما كانوا هم القائمين على إدارة المحاكم، والإشراف على جمع الضرائب.

وعلى الرغم من أن السادة الهاشميين، كانوا يمثلون النخبة الحاكمة في اليمن، فقد اعتمد الإمام على فئة أخرى، هم القضاة. ولَقب القاضي في اليمن، يتجاوز المعنى المرتبط بالعدالة، إذ كان الإمام يسبغ هذا اللقب أحياناً على بعض معاونيه، ممن يتولون مناصب رئيسية، كالوظائف الدبلوماسية والعسكرية.

وولم يكن الإعلام أفضل حالاً، إذ كان في وضع غاية في التخلف. فلم يكن هناك سوى نشرتين، أو ثلاث دوريات، تصدرها وزارة الإرشاد مرتين شهرياً. كما كان هناك محطة إذاعة محدودة القدرة، تبث إرسالاً يقرب من ثلاث ساعات يوميا.

2. حالة الاقتصاد والخدمات

شهد الاقتصاد اليمني تدهوراً عاماً، في عهد الإمام أحمد. ففي مجال الزراعة، التي تمثل المصدر الأساسي للدخل، تحولت اليمن إلى دولة مستوردة للحاصلات الغذائية، بدءاً من عام 1960، بعد أن كانت مصدرة لهذه الحاصلات. ويعود السبب في ذلك إلى تحوُّل الفلاحين إلى زراعة القات الأكثر ربحاً، إضافة إلى سوء الإدارة الحكومية، والضرائب الباهظة على الإنتاج.

وعلى صعيد الصناعة، فإنه باستثناء مصنع للنسيج، تم إغلاقه، لم يكن في اليمن سوى صناعات يدوية بدائية، زاد تدهورها في سنوات الإمامة الأخيرة، لعدم قدرتها على منافسة المنتجات المستوردة.

وفي النواحي المالية، كانت ميزانية الدولة انعكاساً للمركزية الشديدة في نظام الحكم، إذ كان الإمام يدير ميزانية الدولة بصورة مباشرة، فاختلطت، عملياً، بأملاكه الشخصية، ولم يكن هناك أدنى رقابة على أوجُه إنفاقه. وظلت الأرقام المتعلقة بالدخل والإنفاق سراً، يعاقب بشدة كل من يبوح بها. كما لم يكن بالبلاد أي مؤسسة مالية، سوى المصرف السعودي الوطني، الذي أُنشئ عام 1959، وكان يمثل وكالة للصرف، أكثر منه مصرفاً حقيقياً. وقد أدى هذا الوضع إلى

أمّا الخدمات، فكانت على مستوى غاية في التدني، في ظل نظام الإمامة. فالتعليم لا يحظى به، إلا قِلة قليلة من الشعب، والبنات محرومات منه تماماً. كما كانت العملية التعليمية نفسها غاية في التواضع، إذ كانت تعتمد على التلقين الشفهي، ومن ثم، على ذاكرة التلاميذ. وقد يقوم التلميذ الأكبر سناً بدور المعلم، عندما يكون الأخير تَعِباً، في الوقت الذي لم يكن فيه سوى مدرس واحد لكل مدرسة. ولم يكن التعليم الابتدائي إلزامياً، كما كان التعليم، الإعدادي والثانوي، غاية في الانحطاط. ولم يكن للتعليم من هدف، سوى تخريج موظفين مخلصين للإمام. أمّا التعليم الديني، فكان أفضل حالاً. إلاّ أنه كان يعتمد،

مثل باقي أنواع التعليم ومستوياته، على تمويل الأوقاف، وهبات الإمام، دون أن يخصص له ميزانية محددة .**85%** من أموال الدولة. وفي ظل هذه الأوضاع، وصلت نسبة الأمِّية في اليمن إلى ما يزيد على

3. الأبعاد السياسية للبنْية الاجتماعية

أ. البعد الطبقي للمجتمع اليمني

يتكون المجتمع اليمني من ثلاث طبقات أساسية، واضحة المعالم، هي: العليا، والمتوسطة، والدنيا. وتتكون أولى هذه الطبقات، أساساً، من السادة الأشراف، الذين يستمدون مركزهم من انتسابهم، صدقاً أو ادعاءً، إلى أهل البيت. وهو ما جعلهم يمثّلون أهل الحل والعقد، الذين من حقهم، وحدهم، انتخاب الإمام، الذي لا بد أن يكون واحداً منهم، وتولّي كافة المناصب المرموقة في الدولة، والتي كانت تتحول، بدورها، إلى مزيد من القوة الاقتصادية، في ظل فساد الإدارة. وعلى ذلك، كان من بينهم كبار الملاك، .كما كان بعض السادة الأشراف، يشتغلون بالتجارة

ولما كان هؤلاء السادة، في جملتهم، غير منفتحين على العالم الخارجي، وغير ملمين بعلوم الإدارة الحديثة، فقد كانوا ضد أي إصلاح، يهدف إلى التحديث. لأن ذلك يعني انتقال الأدوار الرئيسية من أيديهم إلى أيدي الشباب، الذي تعلم في الخارج. وعلى ذلك، كان الحديث عن الإصلاح والتحديث، في ظل .الإمامة، نوعاً من الحماقة

ويعدّ القضاة ضمن الطبقة العليا للمجتمع اليمني، وإن كانوا في مرتبة أقلّ من السادة الأشراف. وكان أمام القضاة أيضاً فرصة واسعة للإثراء، وحيازة الأراضي، سواء قاموا بوظائف قضاة العدالة، أو بالوظائف العليا، في الإدارة والسلك الدبلوماسي. وظل القضاة، في عهد الإمامة، يقومون بدور كبير في .الحكم، الذي قدَّموا له تبريراً مذهبياً قويا

ويدخل شيوخ القبائل، خاصة القوية منها، ضمن الطبقة العليا، إذ تعد القبيلة وحدة اجتماعية وسياسية وعسكرية مستقلة إلى درجة كبيرة، وهو ما جعل شيوخ القبائل من الفئات، التي تتمتع بالامتيازات، لِمَا لها من سلطة على قبائلها، من ناحية، ولكونها تمثل حلقة وسيطة في نظام استغلال الإمام للشعب اليمني، من ناحية أخرى. وقد كان دور شيوخ القبائل حاسماً، غير مرة، في تثبيت نظام الإمامة. إلاّ أنه في ظل الأوضاع السيئة السابقة لليمن، وقف بعض شيوخ القبائل، من أمثال الشيخ حسين الأحمر، .شيخ مشايخ حاشد، في صفوف المعارضة، في السنوات الأخيرة للإمامة

أمّا الطبقة المتوسطة، فهي خليط من التجار والمثقفين والضباط. وتتميز أولى فئات هذه الطبقة بأنها فئة عصرية، بحكم احتكاكها الطبيعي بالخارج. كما أن انتماءها الديني، يختلف عن انتماء الطبقة العليا. فبينما تعتنق الأخيرة المذهب الشيعي الزيدي، فإن فئة التجار، ومعظمهم من أصول جنوبية، تعتنق المذهب الشافعي. وكانوا دائماً في صفوف المعارضة للنظام الإمامي، بحكم انتمائهم الديني، من ناحية، والمناخ المثبط للتجارة، من ناحية أخرى.

أمّا الفئة الثالثة في تلك الطبقة، وهم الضباط، فقد كانت المؤسسة، التي ينتمون إليها، أقلّ مؤسسات الإمامة تبعية لسيطرة السادة الأشراف، وإن سيطر عليها كبار الضباط من الزيود. وقد أدى الاحتكاك والتعليم الخارجيان دوراً كبيراً في بلورة موقفهم الفكري، مثلهم في ذلك مثل المثقفين. وقد بدأ احتكاك العسكريين اليمنيين بالخارج منذ الثلاثينيات، في صورة بعثات لتلقّي العلم، في العراق، ثم مصر والاتحاد السوفيتي، ومجيء بعثات عسكرية من تلك البلاد، لتنظيم الجيش اليمني وتدريبه. وكانت نتيجة هذا الاحتكاك صدمة ثقافية كبيرة، لم يقتصر أثرها على الذين تعرضوا لها مباشرة، بل امتدت إلى غيرهم من الضباط، مما أدى إلى امتداد السخط على الإمامة، والرغبة في الثورة، إلى فئات واسعة، وخاصة صغار الضباط.

وفي أسفل السلم الاجتماعي، تأتي الطبقة الدنيا للمجتمع اليمني، والتي يدخل فيها العمال، الذين كانوا لا يمثلون أي ثقل عددي، في ظل الوضع المتردي للصناعة. كما يدخل في هذه الطبقة الفلاحون، الذين كانوا يمثلون ما يقرب من 80% من السكان، ويعيشون في حالة غاية في البؤس، خاصة أولئك الذين لا يملكون الأرض، ويمثلون 75% من جملة الفلاحين. ويدخل في هذه الطبقة، أيضاً، الجنود، الذين كان بؤسهم، لا يختلف كثيراً عن السواد الأعظم من الشعب، والرقيق، الذين ظلت تجارتهم قائمة في اليمن، حتى سقوط الإمامة.

(ب. التركيب الاجتماعي للشعب اليمني (القبائل ـ الحضر / المدن

يمكن تقسيم المجتمع اليمني، من ناحية التركيب الاجتماعي، إلى فئتين متباينتين، هما: المجتمع الحضري، ويتركز في جنوب البلاد، والمجتمع القبلي، وينتشر في الشمال. فمنذ الحكم الأيوبي لليمن، خضع الجنوب لنظام إداري أكثر تقدماً. وحلّ الموظفون محل شيوخ القبائل، في دور الوسيط بين القبائل والدولة. وبذلك، فَقَدَ الجنوب كثيراً من صفاته القبلية بمرور الزمن، بينما ظل التماسك القبلي وعاداته وتقاليده،

دون تغير، في الشمال. وقد ساعده على ذلك طبيعته الجغرافية، التي جعلته أصعب خضوعاً للمؤثرات الخارجية.

ب. البعثات العسكرية وتطوير الجيش

عقب توقيع المعاهدة اليمنية ـ الإيطالية، عام 1927، أحس البريطانيون في جنوب اليمن، بالقلق من أن يصبح للإيطاليين، الذين كانوا يحتلون إرتيريا في ذلك الوقت، موضع قدم في اليمن. ولما كانت بريطانيا تحتل العراق، آنذاك، فقد أوعزت إلى الحكومة العراقية بتوطيد علاقاتها السياسية باليمن. فعرض العراق استضافة شباب اليمن، في بعثات تعليمية في مدارسه ومعاهده. ووقعت اتفاقية في هذا الشأن، عام 1931، وبدأ إرسال البعثات التعليمية اليمنية إلى العراق. أمّا البعثات العسكرية، فقد أرسلت أولاها عام 1936، وضمت عشرة ضباط، برئاسة محيي الدين العنسي، أعقبتها بعثة ثانية في العام التالي. وكان من بين أفراد هاتين البعثتين، أحمد الثلايا وحسن العمري وعبدالله السلال.

وخلال فترة دراسة هؤلاء الضباط، في العراق، كان طبيعياً، أن يتعرفوا ويحتكوا بالأفكار العصرية والتقدمية، في كثير من الموضوعات، التي لم يعرفوها في اليمن، خاصة في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع. كما كان عليهم، أن يتعرفوا تطورات التكنولوجيا والاختراعات الحديثة، فضلاً عن الخدمات العامة، التي تقدمها الحكومات إلى مواطنيها في المجتمعات الأخرى، مما شكل صدمة كبيرة لهم، مقارنة بأحوال اليمن، الذي لا يزال يعيش في ظلمات القرون الوسطى. ولذلك شارك هؤلاء الضباط في ثورات اليمن، بعد ذلك، ضد الحكم الإمامي، واستشهد عدد منهم. كما قاد أحدهم، وهو المقدم أحمد الثلايا، انقلاب عام 1955 الفاشل. بينما شارك العقيدان، عبدالله السلال وحسن العمري، في ثورة عام **1962**.

وعقب عودة هؤلاء الضباط من العراق، تم توزيعهم على الوحدات، في كل من الجيش النظامي والدفاعي، أو في الخدمة الشخصية للإمام. وسرعان ما بدأ الإمام وأتباعه، يشكّون في ولاء هؤلاء الضباط، وباتوا يُنظر إليهم على أنهم أذناب الاستعمار الغربي، ضد الحاكم اليمني، مما أدى إلى تشتيتهم، بعد مدة قصيرة، في وظائف، لا تمتّ إلى تدريبهم بصِلة. وأصدر الإمام يحيى أوامره بعدم إرسال ضباط يمنيين للتدريب في الخارج، خوفاً من تفشي الأفكار الثورية والغربية، التي عاد بها هؤلاء الضباط من الخارج.

وفي أعقاب احتلال إيطاليا الحبشة، جددت المعاهدة اليمنية ـ الإيطالية، عام 1936، وأرسلت إيطاليا بعض الهدايا العسكرية إلى الإمام، كان من بينها دبابتان عتيقتان و 20 ألف بندقية و 4 مدافع مضادة للطائرات. فرأت بريطانيا ضرورة موازنة النشاط الإيطالي في اليمن، فأوعزت إلى الحكومة العراقية، مرة أخرى، بتدعيم علاقاتها العسكرية باليمن. فعرض العراق إرسال بعثات عسكرية لتدريب الجيش اليمني، مع تحمّل العراق كافة النفقات. ووصلت البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن، عام 1940، وقامت بجهد كبير في تدريب الجيش اليمني. إلاّ أن المحصلة، لم تكن على قدر الجهد المبذول، لظروف البيئة اليمنية، وتشكُّك الإمام في نشاط البعثة. وبعد ثلاث سنوات، عادت البعثة العراقية، وإن أبقى الإمام أحد أفرادها، مدرباً في الجيش اليمني.

وعندما تولى الإمام أحمد الإمامة، خلفاً لأبيه، الذي قُتل في انقلاب 1948، استمرت القوات اليمنية الثلاث على حالها، دون أي تطوير، حتى قيام الثورة المصرية عام 1952، إذ التحق بالكلية الحربية المصرية عشرة من طلبة البعثة التعليمية اليمنية في القاهرة. وكان قد سبقهم إليها خمسة طلاب آخرون. وبعد تخرج هؤلاء الضباط، وعودتهم إلى اليمن، حاولوا المشاركة في تطوير الجيش اليمني، إلا أن الأوضاع السائدة في البلاد، وعدم رغبة الإمام في تحديث الجيش، خوفاً من أن ينقلب عليه، حَالاَ دون تحقيق التطوير المطلوب. وعلى ذلك، تحوّل هؤلاء الضباط إلى خلايا ثورية، داخل الجيش اليمني، بعد الإحباط، الذي أحسوا به تجاه الأوضاع اليمنية، فكان أحدهم أيضاً، وهو محمد قائد سيف، أحد قادة انقلاب **1955** عام.

وبناءً على طلب الإمام أحمد، وصلت إلى اليمن بعثة عسكرية مصرية، عام 1954، برئاسة النقيب أحمد كمال أبو الفتوح. ولكنها سرعان ما سُحبت على إثر محاولة انقلاب عام 1955، بعد أن شكّ الإمام أحمد في وجود علاقة بين أفرادها وقادة الانقلاب، خاصة أن أحد المتورطين، وهو الضابط محمد قائد سيف، كان معيَّناً لمرافقة البعثة العسكرية المصرية، منذ وصولها إلى اليمن، وقد تمكن سيف من الهرب إلى عدن، بمساعدة بعض ضباط البعثة العسكرية المصرية.

وعقب توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر واليمن والسعودية، في أبريل عام 1956، عادت العلاقات قوية بين مصر واليمن، مما جعل الرئيس جمال عبدالناصر، يرسل إلى صنعاء بعثة تعليمية عسكرية، من خمسة ضباط وبعض ضباط الصف، في فبراير عام 1957، برئاسة العقيد حسن فكري الحسيني. ثم انضم إليهم في العام نفسه العقيد أحمد أبو زيد، وعدد آخر من الضباط وضباط الصف المصريين. ولكن الإمام أحمد، الذي لم يتخلص من هواجسه تجاه البعثة العسكرية المصرية السابقة، وضع

البعثة الجديدة، في البداية، في منطقة الزيدية، شبه المهجورة، على بعد عدة كيلومترات من الحديدة. إلاّ أنه نتيجة لاتصالات القاهرة مع الإمام، تم نقل تلك البعثة إلى صنعاء، حيث ساعدت على تنظيم وفتح الكلية الحربية، عام 1957، ووضع أسُس التدريب والتعليم بها، في هذا الوقت، فُتحت في صنعاء مدرسة للتدريب على الأسلحة السوفيتية، التي زود الاتحاد السوفييتي اليمن بها، عام 1956، تحت إشراف الخبراء السوفيت، وسميت مدرسة الأسلحة.

وقد أدى عقد الاتحاد الكونفيدرالي، بين كل من الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسورية) واليمن، في مارس 1958، إلى زيادة توثيق الروابط العسكرية بين مصر واليمن. وعقب سفر الإمام أحمد إلى روما، عام 1959، للعلاج، وتولّي ابنه الأمير محمد البدر مسؤولية الحكم، استقدم من مصر أعداداً إضافية من العسكريين، تزيد على العدد المقرر للبعثة العسكرية، إضافة إلى أعداد أخرى من الخبراء المصريين المدنيين، فأغضب هذا التصرف الإمام، وكان أحد العوامل، التي عجلت بعودته إلى اليمن، قبل أن يستكمل علاجه. وفور وصوله، أعاد إلى مصر كل الذين زادوا على العدد المقرر للبعثة.

وإزاء تردّي العلاقات المصرية ـ اليمنية، بعد مهاجمة الإمام للقوانين الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة، وانضمامه إلى حملة الهجوم الشرسة على مصر، ورئيسها، بعد انفصال شطرَي الوحدة، قرر الرئيس جمال عبدالناصر سحب البعثة العسكرية المصرية. فقام الإمام بإحلال بعثة عسكرية أردنية، بدلاً منها. وقد حاولت الأخيرة تغيير أسلوب التدريب، إلا أنه لم يكتب لها النجاح.

وقد امتد الوعي، بتأثير الثورة المصرية، إلى الإمام أحمد نفسه، الذي أبدى استياءه بكل ما تفعله الثورة المصرية. وأمر بمنع أجهزة "الراديو" في مقاهي مدن اليمن، وألاّ يسمح بدخولها البلاد، وعلّل ذلك بأن دخولها لم يكن وراءه إلا الفساد. ولكن الأجهزة المهربة غمرت كل المدن، وكثيراً من القرى.

وقد دفع الإمامَ إخفاقه في عزل شعبه عن تأثير الثورة المصرية، إلى تحسين علاقاته بها، خاصة أن القاهرة، وإن أبدت تعاطفاً مع حركة المعارضة، إلاّ أنها لم تشجع، في ذلك الوقت، فكرة قلب نظام الحكم. ويرى بعض المصادر، أن الأمير محمداً البدر، ربما يكون له دور في دفع أبيه إلى التقارب مع مصر. وعلى ذلك، أبدى الإمام استعداده لهذا التقارب، على ألا تمكن القاهرة زعماء المعارضة اليمنية، المقيمين بها، من شن الحملات على نظام الإمامة.

وظل التعاون محدوداً، في البداية، بين مصر الناصرية واليمن. فاقتصر على قبول الطلاب اليمنيين (المدنيين والعسكريين) بالكليات والمدارس المصرية، وإرسال البعثات التعليمية، مع زيادة المنح، التي تقّدمها مصر إلى الطلبة اليمنيين في القاهرة

حركة المعارضة اليمنية .**6**

في ظل تطور حركة المعارضة اليمنية، فإنه يمكن تقسيمها إلى معارضة محافظة، وأخرى تقدمية. وقد .استندت المعارضة المحافظة، أساساً، إلى السادة الأشراف، وبعض أُسرة حميدالدين

أمّا المعارضة التقدمية، فكانت تستند، أساساً، إلى فئات التجار والمثقفين والعسكريين (الطبقة المتوسطة)، وهي ترجع إلى منتصف الثلاثينيات. وكانت تعتمد، في تحقيق أهدافها، في البداية، على تسرب أعضائها إلى جهاز الحكم، لضربه من الداخل، مع توعية الجماهير القبلية، والحفاظ على قنوات .اتصال مع الخارج، لكسب المساندة والتأييد

الجنوب قبل الوحدة

بعد رحيل بريطانيا عن الجنوب استمر الصراع بين القوى السياسية واستمر الخلاف حول التوجه السياسي للدولة. فمنهم من يميل نحو القومية العربية وقد يكون ذلك هو الغالب وكان اول اجتماع للجبهة القومية في مدينة تعز على اساس قومي عربي, الا ان ذلك لم يدم طويلا حتى توجهوا الى المعسكر الشرقي تحت تأثير وتدخل وارشاد (الرفاق) الفلسطينيين فاصبح بعد ذلك اليمن الجنوبي هي البلد الوحيدة في الشرق الاوسط وجزيرة العرب الذي للنفوذ الروسي سطوته فيها وهي البلد التي انتهجت وطبقت النظام الاشتراكي السائر في طريقة نحو الطور الاخير وهو النظام الشيوعي المعمول به في جمهوريات السوفييت الاشتراكية آنذاك. هذا النفوذ والتبعية لنظام ماركس وانجلس جعلت من اليمن الجنوبي دولة يخشى منها ويحسب لها الحسبان كونها تعتمد اعتمادا كليا: سياسيا واقتصاديا وعسكريا، على الاتحاد السوفييتي, احد القوتين العظميتين في العالم. كما ان روسيا تتخذ من جنوب اليمن قاعدة عسكرية وبوابة للمد الشيوعي على الشرق الاوسط وجزيرة العرب تضاهي اسرائيل، التي تنتمي للمعسكر .الغربي

لم يأت هذا الوجود والولاء المطلق لسياسات الروس ونهجهم الا من خلال ايمان نخبة من قيادات التنظيم السياسي الحاكم في جنوب اليمن بكل المبادي الماركسية الشيوعية حسبما قراؤوها او قرئت عليهم دون الرجوع للهوامش والحواشي ودون التفكير فيمن رسمها ولمن اعدت فتجاهلوا ثقافة المجتمع ودينة. لقد سعت تلك القيادات الماركسية جادة في الترويج للفكرة واغلاق كل النوافذ الشفافة المطلة على ما دون ما امنوا به حتى تم ترسيخ هذه المبادئ في كل قيادات البلد السياسية والعسكرية وهي التي تؤهل للعمل القيادي. هذا التطرف الاعماء والايمان المطلق وتحريم التفكير او طرح الراي جعل قيادة البلد تعيش في دائرة مغلقة تماما لا يوجد الامن والقبول الا في داخلها فاصبح جلب أي فكرة أو رأي لا ينبثق من مبادي النظم الاشتراكية كبيرة من الكبائر وخيانة عظما تؤدي بصاحبها الى التهلكة. أما بالنسبة للشخصيات الاجتماعية و الدينية التي لها ثقلها في المجتمع وقبولها فقد راءت القيادة السياسية في البلد ضرورة التخلص منهم ليأسهم من امكانية اقناعهم فقتل من قتل وتشردوا الكثيرين بعد ان كان يشار اليهم بالبنان فجثم الرعب والخوف في قلوب من بقوا حتى جعل من جنوب اليمن دولة يسير فيها القانون والنظام بشكل سلسل دون أدنى عقبات ، ويطبق على الجميع بالتساوي.

ان النهج الصريح والمعلن في الجنوب والذي كان يمارس بإخلاص خصوصا ألقى بظلاله على الشمال .. ومن ثم بدأت تتسللت الماركسية والإلحاد إلى اليمن الشمالي

الشمال قبل الوحدة

بعد انتصار ثورة 26 سبتمبر في الشمال ورحيل دولة الامامة التي وصل نفوذها وسلطتها الى جميع نواحي اليمن الشمالي رحلت برحيلها هيبة الدولة فأصبحت سلطة الجمهورية لا تكاد تتجاوز حدود المدن الرئيسية ويقتاتون على حساب نفقات السعودية ودول الخليج باعتبار الجمهورية العربية اليمنية هي حارس الجزيرة وخط الدفاع الاول ضد المد الشيوعي الشرقي المتمثل في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. فقد كان يظهر امام العالم عامة ودول الخليج والسعودية خاصة بانها هي خط دفاع المد الشيوعي القادم من الشرق. هذه المخاوف جعلت السعودية ودول الخليج تضخ الاموال الطائلة وبشكل دوري منتظم للجمهورية العربية اليمنية باعتبارها المقاومة للمد الشيوعي المتمثل في جنوب اليمن. لقد كانت ميزانية شمال اليمن تقع كليا على حساب تلك الدول..

لقد كانت قيادة شمال اليمن تدرك جيدا حقيقة الخطر الجنوبي المزعوم ويظهر ذلك جليا من خلال القاء نظرة على جاهزية جيش الشمال والتي كانت رديئة جدا قد تصنف بانها لا تمتلك جيش نظامي بما تعنية

الكلمة. وكان النظام المتبع في الشمال نظام متسامح ومستقر يتصرف بهدوء وثقة بالنفس بدون مبالغة او تكلف منفتح على مصراعيه ولو انه لا يكاد يتجاوز المدن الرئيسية تحكمه النظم القبلية والاعراف السائدة. هذه الطبيعة التساهلية البسيطة جعلت من الشمال محتضن وملجا أو ممر لكل الفارين من الجنوب للبقا في الشمال او البحث عن هوية شمالية تمنحهم الاقامة الحرة في المملكة العربية السعودية. كما كانت قيادة الشمال تحتضن الفارين العسكريين والسياسيين من الجنوب عقب كل حرب أهلية ، لقد استقبل الشمال قبل هؤلاء مشايخ القبائل الجنوبية الذين فروا عقب الاستقلال مباشرة باعتبارهم موالين للاستعمار البريطاني حسب رؤية النظام لهم وتصنيفه المعلن غير أن الواقع الذي ينطبق على الكثير منهم هو تخوف قيادة الجنوب من آراءهم المخالفة للنهج الشيوعي كونهم يحضون بقاعدة شعبية تجعل لصوتهم ورايهم صدا يخشى منه.

استغلال القوى:

كلأ الطرفين في الشمال وفي الجنوب وهم قيادة البلدين استغلوا واستثمروا القوة الروسية العظمى، ولكن كلا على شاكلته وفكره, فمنهم من اعتمد عليها كليا متخذ من فلسفتها ونهجها طريقا له ومغلقا بذلك كل الابواب الاخرى وملغي كل الخيارات الممكنة ومنهم من صنع منها فزاعة ليبتز بها جيرانه.

فتمادت وبالغت قيادة الجنوب في حفظ النظم الشيوعية ومراحل تطورها عن ظهر قلب حتى تكونت عندهم قناعات حقيقية واحرموا انفسهم وشعوبهم من كل مصادر التثقيف الاخرى فظنوا بانهم قوة لا تقهر وان نظامهم المعمول به نظام تحلم به كال شعوب الوطن العربي المغلوب على امرة خصوصا سكان شمال حسب ظنهم. لقد وصل الامر الى انه يمنع منعا باتا التفكير في غير ما قد تم تحفيضه ولو حتى التعديل البسيط في الافكار الشيوعية ومن يحاول ذلك يتهم بالرجعية والخيانة ويكون مصيره الموت هو ومن له علاقة سياسية او حتى اجتماعية به خشية انتشار العدواء. لقد شددوا على انفسهم حتى منهم في اعلى مراتب الحكم فلم يستطع اي منهم ان يطرح اية افكار تؤدي الى اصلاحات معينه او تخفف من حدة التشدد الاشتراكي الشيوعي ولو حاول احدهم سيلاقي نفس مصير الرئيس السابق سالم ربيع علي.

سقوط المعسكر الشرقي:

عند انتهى النظام الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفيتي اصبح البلدين، شمال اليمن وجنوبه في امس الحاجة لبعضهما البعض، فقد ادرك الجنوبيين ان القوة التي يستندون اليها عسكريا وسياسا واقتصاديا قد اصبحت منهارة تحتظر. وادرك الشماليين ايضا ما آلت الية القوة العظمى التي كانوا يقتاتون بسببها. لقد

تجلى للطرفين الوضع وخطورته وانه لا يمكن ان ينقذوا انفسهم ووجودهم الا من خلال توحيد اليمن. هذا الفكر وهذا الاستعداد السريع لإعادة الوحدة جاء من خلال الحاجة الملحة. فبالرغم ان الوحدة الشرعية لبلدين مستقلين لا تتم الا باستفتاء شعبي البلدين فقد لجاءوا الى تشريعها من خلال توقيع رئيسا البلدين لا دراك الطرفين ان تلك ليست الا وسيلة لسيطرة طرف على الاخر والمبنية على قناعات الماضي وأفكاره المترسخة عند كل منهما ضانا كل طرف ولا الشعب الآخر لنهجه ونظامه. لقد كانت القيادة الجنوبية تثق بان شعب الشمال سيرحبون بالنظام الجنوبي وبنهجه السياسي المتبع معتمدين على قناعات مغلوطة وعارية من الصحة رسختها شخصيات شمالية اظهرت ولاءها لنظام الحزب الاشتراكي اليمني منذ تأسيسه حتى تقلدت اعلا مناصب الدولة السياسية والادارية في الجنوب والتي بسببها اتهم رئيس وزرا الجنوب المهندس حيدر العطاس بانه انفصالي عندما تجرا وطلب فصل القيادات الشمالية من قيادة الحزب الذي يحكم شعب وانشاء لهم فرع مستقل. هذ1 العمى السياسي والاختراق الاستخباراتي جعل الجنوبيين يجهلون اثر الاسراب من القيادات العسكرية المطرودة والحقودة على من هزمهم وطردهم يوما من الايام. متناسين ايضا من يتألموا لفقدان ذويهم اغتيالا او من خلال الحروب الدورية ناهيك عن .رؤوسا العشائر التي بادرت بالعودة لقراها محملة بالحقد والافكار المناقضة لا فكار قيادات الجنوب

:دمج البلدين

ضلت نوايا الطرفين الاستعمارية هي الماثلة امام اعين القيادة ويظهر ذلك جليا من خلال تمركز اقوى الوحدات العسكرية لكل طرف حيث سعى كل منهما للتمركز بقواته في اهم المواقع الاستراتيجية للسيطرة على الاخر. وسعى الرئيس السابق علي عبدالله صالح لإعادة الجيش الجنوبي اللاجئ في الشمال الى قوات الجيش الموحد لا دراكه التام بولائهم له وبدورهم الجنوبيون سعوا لكسب رؤوسا القبائل الشمالية الذين اعتادوا ان لا يقولون \"لا\" ابدا مستثمرين المحتاج وبالمقابل تجاهلت قيادة الجنوب ابناء الجنوب باعتبارهم ذخيرة مضمونة. وخلال تلك الفترة بدأت التكتلات القبلية في الجنوب ومن ثم نبشت الثارات فتأجج الصراع بين قبائل الجنوب وبين الملاك والفلاحين. اما على الصعيد السياسي والايديولوجي فقد توحد الشماليون فدعموا قوى حزب الاصلاح الديني في الجنوب وتم جلب كثير من رجال الدين المصريين فسيطروا سيطرة تامة على منابر الجنوب مستغلين الجانب العقائدي الموحد في الجنوب فدمروا قاعدة الحزب الاشتراكي الهشة والمبنية على اساس علماني بحت يناقض ثقافة المجتمع وتاريخه. هذه المعطيات وغيرها جعلت الجو مهيا لخوض حرب صيف 94 التي انتصر فيها الشمال على . الجنوب

سبب اختيار هذه الفترة للدراسة : لعل في عرضنا للأوضاع السياسية والاقنصادية والاجتماعية لليمن بشطريه الشمالي والجنوبي وتأثرهما بالمد الماركسي سواء في الشق الجنوبي الموالي للإتحاد السوفياتي أو في الشق الشمالي الذي لم يكن محصنا بشكل كافي ضد التيارات الوافدة إلى العالم العربي والإسلامي ومنها تيار الماركسية والشيوعية المغالية التي تبنت الإلحاد ، كما أن اليمن بشقيه لم يكن بدعا من الدول العربية التي اجتاحتها موجة الإلحاد في كل من مصر وسوريا ولبنان والعراق وغيرها من الدول ، كما كان للبعثات اليمنية سواء الدراسية أو العسكرية إلى هذه الدول الأثر السيئ في الاحتكاك بالمفكرين والمثقفين الذين تبنوا الإلحاد وعادوا إلى اليمن وتبؤأ مناصب في الدولة أو تولوا التدريس في مختلف مؤسسات التعليم من ثانويات وجامعات وتأسيسهم لمنظمات وأحزاب نشروا من خلالها الفكر الإلحادي .

الشيخ عبد المجيد الزنداني

المولد والنشأة

،ولد الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني سنة 1938، في قرية الظهبيرة بمديرية الشعر من محافظة إب ولكن أصله من منطقة "زندان" في مديرية أرحب بمحافظة صنعاء ،إحدى محافظات الجمهورية اليمنية وقد ولد الشيخ في ظل حكم الإمامة وشهد من صغره أحداث ثورة 1948 والتي طان أحد قادتها ابن الجزائر البار الفاضل الشيخ العلامة فضيل الورتلاني ، كما واكب الشيخ الزندني جميع التحولات السياسية والفكرية والاجتماعية للمجتمع اليمني بشقيه الشمالي والجنوبي ، كما كان شاهدا على تأثر أبناء بلده بموجة الإلحاد القادمة من الاتحاد السوفياتي ومصر وسوريا والعراق خاصة وأن الشيخ عبد المجيد الزنداني أحد مؤسس الصحوة الإسلامية التي أخذت على عاتقها إصلاح المجتمع اليمني وخاصة في شقه الشمالي مع الشهيد محمود الزبيري في تجربة الستينات والسبعينات .

الدراسة والتكوين

تلقى تعليمه الأولي في الكتّاب بمسقط رأسه، والتحق بالدراسة النظامية في عدن، ثم انتقل ودرس فيها المرحلتين الإعدادية والثانوية، ثم التحق بكلية الصيدلة ودرس فيها سنتين ثم تركها إلى مصر بسبب اهتمامه بالعلم الشرعي، وأخذ يقرأ في علوم الشريعة، وتسنى له الالتقاء بأكابر العلماء في الأزهر الشريف.

انكب على الدراسة على علماء ومشايخ الأزهر الشريف قبل أن ينتقل إلى المملكة العربية السعودية ويلتقي كبار علمائها، من أمثال الشيخ عبد العزيز بن باز

وحصل في ما بعد على شهادة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية في ،ومحمد بن صالح العثيمين .السودان

وسّع مداركه من خلال المطالعة واستنطاق النصوص الشرعية ومحاولة فهمها في ضوء الحياة المعاصرة والاكتشافات العلمية، وهو ما فتح أمامه مجال الإعجاز العلمي في القرآن الذي شكل أحد أهم . انشغالاته ومجال تميزه

الوظائف والمسؤوليات

مارس التدريس أثناء وجوده في السعودية، وتولى بعد عودته إلى اليمن وظائف ومسؤوليات مختلفة، من .بينها إدارة معهد النور العلمي ووظائف تدريس في بعض مؤسسات التعليم

عين نائبا لوزير الأوقاف والإرشاد في الحكومة التي ترأسها أحمد محمد نعمان عام 1965. وتولى إدراة .**1966** معهد النور العلمي في حي الشيخ عثمان بمحافظة عدن عام

سنة 1967 في حركة الخامس من نوفمبر/تشرين بعبد الله السلال وبعد إطاحة عبد الرحمن الإرياني وتولى إدارة الشؤون العلمية في وزارة التربية والتعليم، وساهم في تدريس الثاني، عاد الزنداني إلى صنعاء عدد من المواد العلمية كمادة الأحياء، ثم عيّن رئيسا لمكتب التوجيه والإرشاد عند إنشائه سنة 1975 .قبل أن يعين في وزارة المعارف

وتولى قيادة الحركة الإسلامية خلفا للأستاذ عبده محمد الخلافي الذي توفي بحادث مروري في مايو/أيار 1969 حتى عام 1979. وساهم في تشكيل الجمعية العلمية التربوية نهاية عهد الرئيس القاضي .الإرياني

كما عين مندوبا لليمن في رابطة العالم الإسلامي. وشارك في تأسيس جمعية علماء اليمن. ويعد عضوا .**2010** مؤسسا للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومؤسس ورئيس هيئة علماء اليمن عام

التجربة الفكرية

شكل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية أحد الانشغالات الأهم للزنداني، واعتبر على نطاق واسع أحد أبرز العلماء المعاصرين الذين حاولوا البرهنة على سبق القرآن في مجال الحديث عن الاكتشافات العلمية في مجالات كثيرة كالطب، وخلق الإنسان، والجيولوجيا

.

المؤلفات

أثرى عبد المجيد الزنداني المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات، كما أن له العديد من الأشرطة والمحاضرات التي فصّل فيها مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. ومن أبرز كتبه:

- تأصيل الإعجاز العلمي.
- علم الإيمان.
- طريق الإيمان.
- نحو الإيمان.
- التوحيد.
- البينة العلمية في القرآن الكريم.
- إنه الحق.
- منطقة المصب والحواجز بين البحار.
- علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة.
- معجزات الرسول وبيناته.
- الصفات ومنزلقات الفرق.
- المرأة وحقوقها السياسية في الإسلام.

وألّف الزنداني كتاب التوحيد لطلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية من عام 1968 حتى عام 2004.
إضافة إلى كتاب تعليم الواجبات الدينية

: تأسيسه لجامعة الإيمان حلقة في إطار محاربة الإلحاد

المحاضرات والمناظرات داخل اليمن وخارجه

المصادر والمراجع

اليمن عبر التاريخ

مصرع الابتسامة / حميد شحرة , رسالة ددكتوراه

مذكرات المقبلي

مذكرات سنان أبو لحوم

.

.